الجزء الخامس — المجلد الثالث

المنار

١٣١٥

[illegible]

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق

مصر في يوم الاحد ٢١ ذي الحجة سنة ١٣١٧ * ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠

الدنيا والآخرة

(فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب)

ذهب قوم الى ان الانسان في هذه الدنيا حيوان كسائر الحيوانات وان زعم بعض افراده أنه ملك أرضي وانه أفضل المخلوقات ما جاء الا من العجب والغرور وان كماله انما هو في التمتع باللذات الجسدية بقدر ما يستطيع ولا يحرم نفسه منها الا لجهله وغروره بل تطرف بعض أهل هذا المذهب الحيواني فقالوا ان الانسان أخس من غيره من الحيوانات وأنقص في فطرته من كثير من الحشرات لانها خلقت مستقلة في شؤون معيشتها وخلق هو جاهلا فاحتاج لتقليدها والاخذ عنها ولو لا استعداده للتقليد لما أمكن ان يعيش ويثبت والمقلد لا يكون الا أنقص من مقلده . قالوا لا يوجد حيوان يقلد الانسان فيستفيد بتقليده ما يقوم به أوده ويحفظ حياته والانسان قد قلد كثيراً من الحيوانات والحشرات فانه تعلم النسج من

العنكبوت والهندسة من النحل وبناء البيوت من النمل الابيض وتعلم قابيل ابن آدم من الغراب كيف يواري سوءة أخيه

وذهب قوم الى ان الانسان ملك روحاني ولكنه لبس هذا الجسد الحيواني ليختبر الحالة الحيوانية ويعرف حقيقة العوالم الجسدية فنسي أفراده عالمهم الاصلي وشغلهم هذا الثوب العارض عن حقيقتهم فيجب عليهم ان يجتهدوا في التخلص من عوائقه والفرار من دواعيه بحسب طاقتهم وان يخدموا الروح ويقووا سلطانه حتى يقطعوا هذه المرحلة الجسدية ويصلوا الى عالمهم الروحاني (الآخرة) غير منهوكي القوى وهناك يكونون أرواحاً تسبح مع الملائكة المقربين في عالم الملكوت الاعلى حيث لا لذات جسدية كالاكل والشرب وملامسة النساء أي ان عالم الوجود يخلو من هذا النوع الذي نسميه (الانسان) وتنعدم منه اللذات المادية التي سموها بزعمهم نقائص بل يتخيل كثير منهم ان عالم المادة يتلاشى ويضمحل ولا يبقى الا عالم الارواح والروحانيات . ومن العجيب ان أكثر الناس يعظمون أهل هذا المذهب على اختلاف آرائهم ويعتقدون فيهم الكمال مع انهم في العمل اقرب الى المذهب الذي قبله والحق هو ما نقصه عليك فيما يلي

اذا تتبعت أحوال بني آدم في عامة أوقاتهم واستخرجت مقاصدهم من جميع اعمالهم ترى أنها محصورة في تحصيل المنافع ودفع المضار وان شئت فقل اجتناب المؤلم واجتلاب الملائم واذا سبرت أفكارهم ووقفت على مذاهبهم في المنافع التي يتهافتون عليها والمضار التي يهربون منها ترى انه لا معنى للمنفعة عندهم الا اللذة ولا معنى للمضرة الا فقدها واللذات منها الجسدي والمادي ومنها الروحي والعقلي والانسان نزاع بطبيعته الى كلتا اللذتين

ولكن اللذة الجسدية سابقة في الطبيعة وحياته الشخصية والنوعية متوقفة عليها فلا يستغني عنها في وقت من الاوقات ولهذين السببين ترسخ فيه وتقوى فتغلب على اختها التي تأتي بعدها لان بها تمام الانسان وكماله. والجزء المتمم المكمل لا يكون كذلك الا اذا كان قبله جزء يكون هو مكملا ومتمما له. وكل ماهية من الماهيات المركبة التي تكمل بتمام ما تركبت منه تعدم بعدم أي جزء من أجزائها سواء كان الجزء المعدوم هو الاول في الوجود أو المرتبة او كان الثاني وما تمام بعدمه تنقص بنقصه وتصل الى كمالها باستيفائه ما هو مستعد له في اصل الفطرة التي فطر الله الناس عليها مع الاعتدال الذي هو ميزان الفضيلة والكمال

اذا علمت هذا ايها الناظر المدقق يتبين لك غلط الذين يزعمون ان اللذة الجسدية نقيصة في الانسان وطلبها ولو مع الاعتدال مذموم عقلا او شرعا كأن هؤلاء الناس غفلوا عن أنفسهم فجهلوا أن الانسان مركب من جسد وروح وان تركه لدواعي الجسد وما يحفظ وجوده ويصل به الى كماله هو كتركه دواعي الروح العاقل وما يصل به الى كماله كلاهما خروج بهذا النوع عن نوعيته وهو محال لا يطلبه الا جاهل. ولو أمكن الانسان ان يستغني عن اللذات الجسدية ويعيش بدونها مكتفيا باللذات الروحية مستغرقا في المعارف العقلية لكان ملكا ولم يكن انسانا ولو حبس نفسه على اللذات الجسدية ولم يعبأ بما يطالبه به روحه وعقله من تحصيل اللذات المعنوية لهبط من أفق الانسانية الى ارض الحيوانية وكان كالبهائم السائمة والدواب الراعية فالحق الذي لا مرية فيه ان الانسان لا يكون انسانا على وجه الكمال الا اذا استوفى لذتي الروح والجسد جميعا مع الوقوف عند حدود الاعتدال.

هو هكذا في الدنيا وسيكون كذلك في الآخرة لان الآخرة ليست عالماً يمحى فيه عالم المادة من لوح الوجود ويخرج به الانسان عن كونه انساناً وانما هو عالم يكون الانسان به في أعلى أوج الكمال فيستوفي جميع اللذات الروحية والجسدية من غير عناء ولا شقاء ولا جهاد ولا بلاء أو يحجب به عن اللذتين كلتيهما

بهذا جاء الدين الاسلامي فكان حكما عدلا بين الناس ملليين وفلاسفة وحكمه هذا ترتاح له النفس المعتدلة ويرضى به العقل السليم اذا كان يؤمن بالغيب الممكن الذي يخبر به من ثبت صدقه بالآيات البينات . نعم ان العقل الجوّال لا يرضيه الاخذ بالاجمال . فيطالب بالتفصيل . ويسأل عن البرهان والدليل . وقد تكفل له الاسلام بكل هذا فانه لم يكلف أحداً بان يأخذ به تقليداً بل نعى على المقلدين . وقال (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

ليس من غرضنا ان نبين في هذه المقالة وما بعدها ما قصه علينا الدين من أحوال الآخرة وبيان انه ممكن منطبق على ما يليق بعدل الله تعالى وفضله وانما الغرض بيان ما أرشد اليه من الكمال الانساني في الدنيا والآخرة وكيف جمع بين مصالح الدارين وألف بين مطالب الروح والجسد فوافقت الشريعة نظام الفطرة والطبيعة لان كلا منه جل وعز ولا يصح في العقل ان الحكيم العدل يخلق الخليقة بنظام محكم ثم ينزل شريعة تخل بذلك النظام (وقد أوضحنا هذا من قبل في مقالة عنوانها « الشريعة والطبيعة والحق والباطل » فليرجع اليها من أراد) وسنبين فيما يأتي وجه الجمع بين الامرين ونشرح معنى الزهد والقناعة على الوجه الذي ينطبق على قاعدتنا فانتظر ما يفتح الله به في الاجزاء التالية